

{ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ يُعْزِزُ لِعَفْوٍ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ وَرَاجِعِ الْبَصَرِ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ * وَلَقَدْ رَئَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَسَنُ لِمَصِيرٍ * إِذَا الْفُؤَادُ فِيهَا يَسْمَعُوا لَهَا سَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ * تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * وَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ }

قوله تعالى: { تَبَارَكَ } قد شرحناه في [الأعراف: 54].

قوله تعالى: { الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ } قال ابن عباس: يعني: السلطان يعز ويذل.

قوله تعالى: { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ } قال الحسن: خلق الموت المزيل للحياة، والحياة التي هي ضد الموت { لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } قد شرحناه في [هود: 7] قال الزجاج:

والمعلق ب { أَيُّكُمْ } مضمرة تقديره: ليلوكم، فيعلم أيكم أحسن عملاً، وهذا علم وقوع.

وارتفعت «أي» بالابتداء، ولا يعمل فيها ما قبلها، لأنها على أصل الاستفهام، ومثله «أي

الذين أحصى» [الكهف: 12] والمعنى: خلق الحياة ليختبركم فيها، وخلق الموت ليبعثكم

ويجازيكم. وقال غيره: اللام في «ليلوكم» متعلق بخلق الحياة دون خلق الموت، لأن الابتلاء

بالحياة، { الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ * طِبَاقًا } أي: خلقهن مطابقات، أي: بعضها فوق بعض

{ مَّا تَرَى } يا ابن آدم { فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ } قرأ حمزة والكسائي:

«من تفوت» بتشديد الواو من غير ألف. وقرأ الباقون بألف. قال الفراء: وهما بمنزلة واحدة،

كما تقول: تعاهدت الشيء، وتعهدته. والتفاوت: الاختلاف. وقال ابن قتيبة: التفاوت:

الاضطراب والاختلاف، وأصله من الفوت، وهو أن يفوت شيء شيئاً، فيقع الخل، ولكنه متصل

بعضه ببعض.

قوله تعالى: { وَرَاجِعِ الْبَصَرَ } أي: كرر البصر { هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ } وقرأ أبو عمرو، وحمزة،

والكسائي، «هل ترى» بإدغام اللام في التاء، أي: هل ترى فيها فروجا وصدوعا.

قوله تعالى: { ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ } أي: مرة بعد مرة { يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا } قال ابن

قتيبة: أي: مبعداً من قولك: خسات الكلب: إذا باعدته { وَهُوَ حَسِيرٌ } أي: كليل منقطع عن أن

يلحق ما نظر إليه. وقال الزجاج: قد أعيان من قبل أن يرى في المساء خلا.

قوله تعالى: { وَلَقَدْ رَئَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ } وقد شرحناه في [حم السجدة: 12]

{ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ } أي: يرحم بها مسترقوا السمع. وقد سبق بيان هذا المعنى

[الحجر: 18] { وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ } أي: في الآخرة { عَذَابَ السَّعِيرِ } وهذا وما بعده قد سبق بيانه

إلى قوله تعالى: { سَمِعُوا لَهَا سَهيقًا } أي: صوتاً مثل صوت الحمار. وقد بينا معنى الشهيق

في [هود: 106] { وَهِيَ تَفُورٌ } أي: تغلي بهم كغلي الرجل { تَكَادُ تَمَيِّزُ } أي: تتقطع من

تغيظها عليهم { كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ } أي: جماعة منهم { سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ } وهذا

سؤال توبيخ.

قوله تعالى: { إِنْ أَنْتُمْ } أي: قلنا للرسول: { إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ } أي: في ذهاب عن الحق

بعيد. قال الزجاج: ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا: { لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ } أي: سماع من يعي ويفكر { أَوْ

نَعْقِلُ } عقل من يميز وينظر { مَّا كُنَّا } من أهل النار { فَسُحْقًا } أي: بعداً. وهو منصوب على

المصدر، المعنى: أسحقهم الله سحقاً، أي: باعدهم الله من رحمته مباحدة، والسحيق: البعيد.

وكذلك روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس «فسحقاً» أي: بعداً. وقال سعيد بن جبير، وأبو

صالح: السحق: واد في جهنم يقال له: سحق.

{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ* وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ* أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ* هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ دَلْوًا وَمَشَا فِي مَتَابِعِهَا وَكَلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ} قد شرحناه في [سورة الأنبياء: 49] {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ} لذنوبهم {وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} وهو: الجنة. ثم عاد إلى خطاب الكفار، فقال تعالى: {وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ} قال ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيخبره جبرائيل بما قالوا، فيقول بعضهم: أسروا قولكم حتى لا يسمع إله محمد.

قوله تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ} أي: ألا يعلم ما في الصدور خالقها؟ «واللطيف» مشروح في [الأنعام: 103] «والخبير» في [البقرة: 234].
قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ دَلْوًا} أي: مذلة سهلة لم يجعلها ممتنعة بالحزونة والغلظ.

قوله تعالى: {وَمَشَا فِي مَتَابِعِهَا} فيه ثلاثة اقوال:
أحدها: طرفاتها، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد.
والثاني: جبالها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، واختاره الزجاج، قال: لأن المعنى: سهل لكم السلوك فيها، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها، فهو أبلغ في التذليل.
والثالث: في جوانبها، قاله مقاتل، والفراء، وأبو عبيدة، واختاره ابن قتيبة، قال: ومنكبا الرجل: جانباه.

قوله تعالى: {وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} أي: إليه تبعثون من قبوركم.

{أَمْ نُنَمُّ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ* أَمْ أَمْنُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ* وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ* أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ قَوْقُهُمْ صَفَّتْ وَتَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ} ثم خوف الكفار فقال: {أَمْ نُنَمُّ} قرأ ابن كثير: «وإليه النشور وأمنتهم» وقرأ نافع، وأبو عمرو: «النشور أمنتهم» بهمزة ممدودة. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «أمنتهم» بهمزتين {مَنْ فِي السَّمَاءِ} قال ابن عباس: أمنتهم عذاب من في السماء، وهو الله عز وجل؟ «وتمور» بمعنى تدور. قال مقاتل: والمعنى: تدور بكم إلى الأرض السفلى.

قوله تعالى: {أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا} وهي: الحجارة، كما أرسل على قوم لوط

{فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ} أي: كيف كانت عاقبة إنذاري لكم في الدنيا إذا نزل بكم العذاب

{وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} يعني: كفار الأمم {فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ} أي: إنكاري عليهم

بالعذاب.

{أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ قَوْقُهُمْ صَفَّتْ} أي: تصف أجنحتها في الهواء، وتقبض أجنحتها بعد

البيسط، وهذا معنى الطيران، وهو بسط الجناح وقبضه بعد البسط {مَا يُمَسِّكُهُنَّ} أن يقعن

{إِلَّا الرَّحْمَنُ}.

{أَمْ نُهَدَىٰ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنْ لِكُفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ* أَمْ نُهَدَىٰ

الَّذِي يَزُرُّكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ* أَمْ نُهَدَىٰ عَلَىٰ سَبِيلٍ مَكِينًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ

أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ

وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مِمَّا تَشْكُرُونَ* قُلْ هُوَ الَّذِي دَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ* وَيَقُولُونَ مَتَىٰ

هَذَا لَوْعَدُوا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* قُلْ إِنَّمَا لَعَلُّكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ* فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً

سَبَّتُوا وَجُوهَهُ لِيَذِبَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ}

قوله تعالى: {أَمْ نُهَدَىٰ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ} هذا استفهام إنكار. ولفظ «الجند» موحد، فلذلك

قال تعالى: «هذا الذي هو» والمعنى: لا جند لكم {يَنْصَرُّكُمْ} أي: يمنعكم من عذاب الله إن

أراده بكم {إِنْ لِكُفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ} وذلك أن الشيطان يغرهم، فيقول: إن العذاب لا

ينزل بكم {أَمْ نُهَدَىٰ هَذَا الَّذِي يَزُرُّكُمْ} المطر وغيره {إِنْ أَمْسَكَ} الله ذلك عنكم بل {لَجُوا

فِي * عُتُوٍّ} أي: تماد في كفر {وَنُفُورٍ} عن الإيمان.

ثم ضرب مثلاً، فقال تعالى: { أَقْمَنَ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ } قال ابن قتيبة: أي: لا يبصر يمينا، ولا شمالاً، ولا من بين يديه. يقال: أكب فلان على وجهه بالألف، وكبه الله لوجهه، وأراد: الأعمى. قال المفسرون: هذا مثل للمؤمن، والكافر. و«السوي» المعتدل، أي: الذي يبصر الطريق. وقال قتادة: هذا في الآخرة يحشر الله الكافر مكباً على وجهه، والمؤمن يمشي سوياً.

قوله تعالى: { قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ } فيه قولان:

أحدهما: أنهم لا يشكرون، قاله مقاتل.

والثاني: يشركون قليلاً، قاله أبو عبيد.

قوله تعالى: { دَرَأَكُمُ } أي: خلقكم { وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ } يعنون بالوعد: العذاب { فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً } أي: رأوا العذاب قريباً منهم { سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا } قال الزجاج: أي: تبين فيها السوء. وقال غيره: قبحت بالسواد { وَقِيلَ هَذَا لِيذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ } فيه قولان:

أحدهما: أن «تدعون» بالتشديد، بمعنى تدعون بالتخفيف، وهو «تفتعلون» من الدعاء. يقال: دعوت، وادعيت، كما يقال: حَبْرْتُ وَاحْتَبْرْتُ، ومثله: يَدَّكِرُونَ، وَيَذَكِّرُونَ، هذا قول الفراء، وابن قتيبة.

والثاني: أن المعنى: هذا الذي كنتم من أجله تدعون الأباطيل والأكاذيب، تدعون أنكم إذا متم لا تبعثون؟ وهذا اختيار الزجاج. وقرأ أبو رزين، والحسن، وعكرمة، وقاتدة، والضحاك، وابن أبي عمير، ويعقوب: «تدعون» بتخفيف الدال، وسكونها، بمعنى تَفْعَلُونَ من الدعاء. وقال قتادة: كانوا يدعون بالعذاب.

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكِنِي اللَّهُ وَمَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَاطِمُنَا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ }

قوله تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكِنِي اللَّهُ } بعذابه { وَمَنْ مَعِيَ } من المؤمنين. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وجفص عن عاصم: «معي» بفتح الياء. وقرأ أبو بكر عن عاصم، والكسائي: «معي» بالإسكان { أَوْ رَحِمَنَا } فلم يعذبنا { قَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ } أي يمنعهم ويؤمنهم { مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ } ومعنى الآية: إنا مع إيماننا، بين الخوف الرجاء: فمن يجيركم مع كفركم من العذاب؟ أي: لأنه لا رجاء لكم كرجاء المؤمنين { قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ } الذي نعبد { فَسَتَعْلَمُونَ } وقرأ الكسائي: «فسيعلمون» بالياء عند معاينة العذاب من الضال نحن أم أنتم.

قوله تعالى: { إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا } قد بيناه في [الكهف:41] { قَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ } أي: بماء ظاهر تراه العيون، وتناله الأرضية.